فزّان في التاريخ الحديث

للدكتور أحمد أحمد سيد أحمد

الاستاذ المشارك للتاريخ الحديث ، ووكيل قسم التاريخ بالكلية

هذا بحث خاص بمنطقة فزان الليبية في التاريخ الحديث يمتد لأربعة قرون (١٥٥٠ـ١٩٥١) . وتمثل السنة الاولى السنة التي نصّب فيها محمد الفاسي ، المغربي الاصل ، نفسه سلطانا على فزان . وتمثل السنة الثانية السنة التي تمّ فيها اعلان استقلال ليبيا ، وبين هاتين السنتين خضعت فزان لأحداث وأحداث :

١ ـ فقد خضعت في أول الامر للادارة العثمانية منذ منتصف القرن السادس عشر ، فكان باشا طرابلس يعين حكامها من أسرة محمد الفاسي التي استمرت في الحكم حتى سنة ١٨١٣ . ثم أصبحت فزان منذ هذه السنة تحت سيطرة قبائل أولاد سليمان بزعامة عبد الجليل سيف النصر حتى مايو ١٨٣٥ ، حين سقط حكم القرمانليين الذين كانوا يحكمون طرابلس منذ يوليو ١٧١١ .

٢ ـ وبعد سقوط القرمانليين بسنوات قليلة عاد الحكم المباشر للبلاد الى السلطان العثماني ، وأصبحت فزان تابعة لباشا طرابلس الذي كان يعين حكامها ، واستمر هذا الحال حتى غزا الايطاليون البلاد سنة ١٩١٢ .

٣ ـ ومنذ سنة ١٩١٣ عمل الايطاليون على مد سلطانهم من الساحل الى فزّان ، وأصبحت فزان ميدانا للحرب بين الايطاليين وبين الاهالي . وهنا تبرز في تاريخ فزان بعض الاسماء من

رجالات ليبيا ومن القادة الايطاليين ، كما تبرز أسماء بعض المعارك الحاسمة • واستمر حكم الايطاليين للبلاد وفزان حتى سنة ١٩٥١ حين تم استقلال ليبيا •

وقد اعتمد هذا البحث على مصادر أصلية كتبها أهل البلاد ، وعلى بعض المؤلفات الايطالية التي عاصر مؤلفوها ـ في معظم الاحيان ـ الحكم الايطالي للبلاد والتي قام على ترجمة معظمها الى العربية أخوة ليبيون • كما تمت الاستفادة من وثائق دار المحفوظات بطرابلس •

مقـدمـة

كان يُقصد بفَزّان حتى وقت قريب ، وعلى سبيل التعميم ، كل المناطـق الداخلية في ليبيا بمفهومها الحديث • فقد كانت ، ومنذ العصر الروماني ، تضم الأراضى الواقعة خلف الجبال الى الجنوب من غِرْيان الحالية • كما كانت تقترب من البحر اقترابا شديدا شرقي لِبدّه (Leptis Magna) ، وتمتـد حتـى قرب أوجله شرقا ، ومن المحتمل أنها كانت تضم منطقـة واحـات الكُفرة والعُوينات الشرقيـة • أما غربا فقد كانت تمتد من غَدامُس شمالا حتى غات جنوبا (١) •

وقد ظهرت في فزان في الأزمنة القديمة مدينة جِرْمَه التي كانت مركزا لكثير من طرق القوافل التي تربطها بساحل البحر المتوسط شمالا عند صَبْراته وأُويا (Oea) (٢) ولِبْدّه ، والمدن التجارية الاخرى في مصر والسودان شرقا ، وساحل المحيط الأطلسى غربا ، وتشاد والنيجر جنوبا • وعندما حل الرومان بالساحل الليبي نشطت تجارة القوافل بين الموانى على هذا الساحل وبين أفريقيا الوسطى عبر فَزّان ، وازدهرت جِرْمَه واتسعت حتى بلغـت أقصى اتساعهـا خلال القرنين الثاني والثالث وأوائل القرن الرابع للميلاد • ولكن النصف الثاني من القرن الرابع شهد بداية اضطراب الاحوال في فَزّان ، وانغماس القبائل فيها في محاربة بعضها بعضا في مضمار تنازع البقاء وفي شن الغارات على الواحات والمزارع والشريط الساحلي (٣) •

واستمر هذا الحال حتى هلّ عصر الفتوح الاسلامية في ليبيا ، فتم فتح زُوَيلَه وَبلاد ودّان في فَزّان في سنتي ٢٢ و ٢٣هـ • وكل ما يُمكن معرفته عن تاريخ فَزّان بعد ذلك أنها ظلت ـ على الأرجح ـ مستقلة بشئونهـا وتابعـة اسميا للمناطق المواجهة لها على الساحل (٤) ، وان الدين الاسلامي بدأ يتغلغل في حياتها تدريجيا على أيدي دعاة الاباضية من الرستميين والنفّوسيين • فقبل أن ينتهيَ النصف الأول من القرن الأول للهجرة كانـت مبـادىء الخوارج قـد استقرت في المنطقة كقوة سياسية دينية كبيرة ، وتركزت الاباضِيّة في جبـل نفّوسة الذي لم يلبث أن أصبح مركز اشعاع للمذهب الاباضى في كل الأقاليم المجاورة ، ومنها الصحراوات المجاورة في فَزّان (٥) •

ولم يقف الأمر عند الانتماء الديني ، فقد أصبحت بعض أجزاء فزان تابعة لاباضية جبل نَفّوسة • وبينما ذلك تمكنت أجزاء اخرى من الاستقلال بشئونها: وذلك كما فعل بنو الخطاب الهواريون عندمـا أقـاموا مملكـة صغيرة لهم فـي

زُوَيلَه والمنطقة المجاورة لها · وكانت زُوَيلَه في عهدهم مدينة كبيرة ، وقد ضربوا فيها الدنانير الذهبية ، وأصبحت المدينة لثبات عملتها البنك المركزي للعمليات المصرفية في طول الصحراء وعرضها (٦) ·

واستمرت دولة بني الخطاب من سنة ٣٠٦هـ الى سنة ٥٦٩هـ· ، وهي السنة التي تمكن فيها قراقوش مملوك تقيّ الدين ابن أخي صلاح الدين الايوبي من القضاء على هذه الدولة واقامة الخطبة فيها لصلاح الدين وتقيّ الدين من بعده · وعلى وجه العموم ، اذا كانت تبعية بعض جهات فَزّان لجبل نفوسه لم تدم طويلا ، فان فَزّان ـ مع ذلك ـ ظلت من الناحية العقائدية ولزمن غير قصير معقلا من معاقل الاباضية (٧) ·

وبعد القضاء على قراقوش ، بعد أن تمكن أعداؤه من قتله وصلبه بظاهر وَدّان في سنة ٦٠٩هـ ، تحرك سلاطين كانم ومدّوا ملكهم على فَزّان كلها حتى حدود طرابلس ، مستهدفين تأمين طرق قوافلهم التي تربط بين بلادهم وبين طرابلس والتي قطعها قراقوش · وقد اتخذ نائب سلطان كانم في فَزّان من تَراغِن مركزا لحكمه (٨) ، ولكن سلطان كانم لم يستمر مدة طويلة في فزان نتيجة لظهور الخُرمان في وادى الآجال ·

والخُرمان نسبة الى مدينة خُرْمَه : فنتيجة للحفريات التي قام بها الأستاذ محمد سليمان أيوب (٩) في الأطلال المعروفة باسم « جِرْمَه القديمة » اكتشف وجود مدينة أخرى تحت هذه الأطلال وهي جِرْمَه المسيحية المعاصرة للرومان · أما هذه الأطلال فهي خاصة بمدينة أخرى قامت في القرن الثالث عشر الميلادي ، وكان أهلها قد تحولوا الى الاسلام وقتئذ· أما اسم هذه المدينة الاخيرة، فيظهر أن تحريفا بسيطا في نطق الاسم قد حدث عفوا أو قصدا لتمييز جِرْمَه الاسلامية عن جِرْمَه المسيحية ، فسميت الاولى بـ (خُرْمَه) وعُرف ساكنوها بالخُرْمان ·

وقد مدت خُرْمَه نفوذها حتى بلغ زُوَيْلَه شرقا وسوكْنَه شمالا كما ضمت اليها غَدامُس ، وعندما أخذت في بسط نفوذها على جهات غات وما يجاورها اصطدمت بقوة جديدة كانت قد بدأت في الظهور ـ وهي قوة الطَوارِق الذين اشتركت عدة قبائل منهم في اقامة هذه المدينة ، وكانت أهميتها التجارية تزداد بمرور الزمن حتى ان كلا من ابن خلدون وابن بطوطة الرحالتين المغربيين قد زارها وأقام فيها (١٠) ·

وظلت العلاقات بين الخُرْمان والطوارِق علاقات عداء تؤججها المنافسة على السيطرة على طرق القوافل ، فاذا كان مطلع القرن التاسع الهجرى (١٥م) حتى كان الطوارق قد استولوا على غَدامُس ، ثم تغلغلوا في وادى الآجال وكادوا يستولون على خُرْمَه نفسها · وتشير كل القصص والروايات الشعبية المتداولة في هذه الجهات الى غارات الطَوارِق وانتصار جمّالتهم على فرسان الخُرْمان ، واستمرار الصراع بين الفريقين حتى اختل الأمن في البلاد وأصبحت وكأنها بغير حكومة ، الأمر الذي مهد السبيل أمام السلطان محمد الفاسى ليتولى أمورها ·

ويرجع أصل محمد الفاسى الى مدينة فاس في المغرب الأقصى ، وكان يعمل في قوافل الحج بين هذه الجهات ومكة المكرمة عبر فَزّان ، فتعرف أثناء رحلاته العديدة على مواطن الضعف عند حكامها ، كما ربطت بينه وبينهم علاقات ود وصداقة · ولما كان اقتصاد فَزّان قد تحطم نتيجة للصراع بين الخُرْمان والطَوارِق ، فقد أدى ذلك الى أن تصبح رسوم قوافل الحج المصدر الرئيسى لدخول المنطقة ، الأمر الذي حمل شيوخ فَزّان على مطالبة محمد الفاسى بتولي أمورهم · وليس بمستبعد أن يكون الفاسى قد استغل الخلافات بين شيوخ الخُرْمان ، واستخدم رجال قافلته وأمواله لمساعدة شيخ على آخر حتى تمكن منهم جميعا في النهاية وتولى أمر البلاد ، ونصب نفسه سلطانا عليها سنة ٩٥٧هـ (١٥٥٠م) ، وأقام لنفسه قلعة في مُرْزُق ، وربما كانت هذه القلعة هي القلعة الأثرية المعروفة اليوم بقلعة (أولاد محمد) (١١) ·

وهكذا يمكن أن نعتبر منتصف القرن السادس عشر الميلادي ، وبالتحديد ، بداية لتاريخ فزان الحديث ، وهو نفس التاريخ الذي يبدأ فيه تاريخ الأتراك العثمانيين في القطر الليبي ·

فَزّان تحت الادارة العثمانية

واذا كنا لا نعرف شيئا عن ادارة محمد الفاسى لفَزّان ، الا أننا نستطيع القول بأنه كان موفقا كمؤسس لدولة توارث نسله الحكم فيها ، فقد خلفه ولده السلطان الناصر في حوالى سنة ٩٧٥هـ (١٥٦٧م) ، وتوالى بعده الذكور من عائلته الواحد بعد الآخر يتربعون فوق كرسى السلطنة ٠

وعمل السلطان الناصر على توسيع حدود الدولة ، فضم اليها غَدامُس وغات وأجزاء من النيجر وتشاد ٠ وازدهرت فَزّان في عهده ، وانتشر الأمن فيها، واتسعت مساحة الأراضى الزراعية ٠ كما أخذت مُرْزُق في النمو بسرعة متزايدة ، وصارت مركزا كبيرا للقوافل ، وعجت أسواقها بمختلف السلع الواردة من جهات مختلفة من العالم ٠

وكانت فَزّان تنقسم وقتذاك الى تسع عمالات ، بكل منها عامل يديرها تحت رقابة السلطان ٠ وهذه العمالات هي : سوكْنَة ، غَدامُس ، قطّه . (وادى الشاطىء) ، الوادى الشرقي (القلعة) ، الوادى الغربي (تكرتيبا) ، غات ، مُرْزُق ، القَطْرون ، زُوَيْلَة (١٢) ٠

وقد خلف المنتصر أباه الناصر في الحكم ، الا أنه لم يكن في حكمته ولا سطوته ، فسرعان ما شب النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة ، وأدى ذلك الى تدخل العثمانيين في طرابلس في شئون البلاد : ففي سنة ٩٨٥هـ (١٥٧٧ـ١٥٧٨م) ـ وطبقا لرواية ابن غلبون ـ(١٣) طلبت خود بنت شَرّومَة بن محمد الفاسى زوج المنتصر من الوالي العثماني في طرابلس ، محمد باشا التركي ، أن يرسل جنده الى فَزّان ، واعدةً اياه بالمساعدة والعطاء الجزيل ان وصلوا اليها ٠ وكانت خود تقيم في قصرها في سَبْهَه ، وكانت تغار من ضُرّة لها من أهل مُرْزُق كان المنتصر يؤثرها عليها ٠ ويتابع ابن غلبون روايته فيقول : « واتفق أن قدم عليها (علي خود) زوجها المنتصر من مُرْزُق ، فسدت أبواب القصر عنه ، وأحسنت لحاشيتها وقاتلته ، فحاصرها ثلاثة أيام فمات كمدا ٠٠٠ فلما مات زال ما بها من الحقد وحدثتها نفسها بالملك ، فندمت على مراسلة الترك بالقدوم ٠٠٠ وفكرت في نفسها حيلةً تستعد بها لهم ان قدموا عليها ، ففاجأها قدومهم بالقرب من موته ، فلما رأتهم قصدت الى حجارة على جبل بمقربة من القصر فألبستها أقبية الرجال وعمائمهم حتى ظنوا أنها رجال ، وانقطعت بهم الأرض ، فراسلوها أن تفي بما وعدت بعد أن سدت القصر بغلق أبوابه وامتنعت ، تظن أن ذلك يقيها ٠ فلما أيقنوا أن تلك الحيل حجارة هجموا على القصر فملكوه ، وأخذوها وعذبوها

عذابا شديدا ثم أحرقوها • وتوجهوا الى مُرْزُق بعد أن ملكوا سَبهَه ، وكان بمُرْزُق الناصر بن المنتصر بن محمد الفاسي ، وكان أكبر أولاد المنتصر ، فلما بلغه الخبر وتيقن ألاّ طاقة له بقتالهم لعدم استعداده لهم فر بخزانته واخوته ومن تبعه من أعوانه لأرض السودان ، وملك الترك البلد وجعلوا عاملا عليها منهم يُقال له مامي ، وأقاموا معه طائفة من الجند ، ورجعوا قافلين » (١٤) •

وهكذا تم للترك احتلال فَزّان سنة ٩٨٥هـ (١٥٧٧ـ١٥٧٨م) • فلما قفلوا راجعين الى طرابلس ثار الأهالي على الحاكم التركي في سنة ٩٩٠هـ (١٥٨٢ـ١٥٨٣م) وقتلوه ومن معه من جند ، ولم يفلت منهم الا طائفة من أولاد علْوان (١٥) كانوا عونا للجند ، وأرسل الأهالي الى الناصر بأرض السودان ، وعندما جاء اليهم بايعوه واستقر معهم حتى سنة ١٠٠٨هـ (١٥٩٩ـ١٦٠٠م) حين مات مريضا •

وسوف تتكرر ثورة أهالي فَزّان على الترك كلما لمسوا ضعف الحاكم التركي ، وسوف ينقطع حاكم فَزّان من الأهالي عن ارسال الاتاوة (أو الخراج) الى الوالى في طرابلس كلما لمس ضعفا فيه • وسوف يستمر هذا الأمر بسطوة الترك عليها وينتهي عهد الحكام من الأهالى ابتداء من ١٨٤٢م •

وخلف المنصور أباه الناصر ، وأراد والى طرابلس سليمان داي ارغامه على دفع الاتاوة وامتنع المنصور ، والتقى جند الفريقين على أرض فزان ، في صحراء كَنِير على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا من الزَّيغِن ، وهزم المنصور وتوفي بعد قليل بعد اصابته بجرح مميت ، وفو الطاهر أخو المنصور بالخزانة والحريم الى السودان ، وأقام الترك على فَزّان (حسين النعال) حاكما جديدا • وبعد رجوع الجند الترك الى طرابلس ثار الاهالي عليه وقتلوه ومعه جنده القليل ، وبايعوا الطاهر بالحكم بعد ان استقدموه من السودان (١٦) •

وأدار الطاهر الحكم في أول الأمر بحكمة ، فلما كانت سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢ـ١٦٢٣م) طغى وتجبر ، وزاد في الخراج على الخُرْمان في وادي الآجال ، ففر زعماؤهم الى طرابلس يلتمسون المساعدة من الوالى التركي ، وعبثا حاول الطاهر استرضاءهم متوسلا في ذلك بمرابطي سَبْهَه وعامله على سوكْنَه • ووجه الوالى مع الخُرْمان جيشا الى فَزّان ، يقوده صهره محمد باشا الساقزلي الذي كان يسيطر على دفة الحكم في طرابلس •

وعندما علم الطاهر بخبر هذه الحملة فر الى بُرْنو ، ولكن ملكها اذ ذاك (عمر المقدسى) قتله ، وذلك انتقاما لابنيْ أخيه اللذيْن كان الطاهر قد قتلهما

في تاريخ سابق · وعين الترك أحمداً بن هويدى الخُرْماني على فَزّان ، وتركوا الى جانبه ـ كعادتهم ـ حامية صغيرة ، وقفلوا راجعين الى طرابلس · ولكن في سنة ١٣٠٦هـ (١٦٢٦ـ١٦٢٧م) توجه اليهم محمد بن جُهَيْم ابن أخي الطاهر . وكان الأهالي قد دعوه اليهم خفية بعد وفاة الطاهر . وكان النصر لابن جُهَيْم في حُميّرة (١٧) · وتقهقر الخُرْماني وأعوانه الترك الى مُرْزُق حيث تحصنوا بقلعتها التي حاصرها ابن جُهَيْم ، وحين بلغ بهم الارهاق وفنى ما معهم من زاد طلبوا العون من الترك في طرابلس ، فوجهوا اليهم عددا من الجند ، واضطر ابن جُهَيم الى رفع الحصار عن القلعة « وفر أمامهم متقلبا في أرض فَزّان ، اذا دخل أرضا دخلوا فيقاتلهم ، حتى سئم الجميع من ذلك » (١٨) ·

هذه هي الظروف التي أدت الى تدخل (رجال الخير) من مرابطي فزّان للاتفاق على وقف القتال ، وعلى رأسهم الفقيه المشهور على الحضيري المعداني وأخوه حامد ، وتم الاتفاق مع الترك على أن يجلوا عن فَزّان وان يُعيّن ابن جُهَيم حاكما عليها على أن يؤدي اتاوة سنوية تم الاتفاق عليها (١٩) · وهكذا استقر الأمر مرة أخرى لبيت محمد الفاسي (أولاد محمد) في فَزّان ·

وفي عهد والى طرابلس محمد باشا الساقسلي ، وأثناء حكم محمد بن جُهَيم في فَزّان ، أرسل الباشا حملة بقيادة عثمان باشا الساقسلي الى أُوجلَه الواقعة على طريق القوافم بين فَزّان ومصر ، فخرج اليه أحمد عبد الهادي في قوة عظيمة لا يقدر عليها ، فلما رأى الباشا ذلك ركن الى الخديعة وأخذ يظهر الندم على ما كان سوف يقترفه مع هؤلاء « الفقراء المساكين المنقطعين في الصحراء ، حتى لم يشك أحد في ندمه » · وتمكن الباشا في آخر الأمر ، وبدون حرب ، من دخول البلد والقبض على أحمد عبد الهادي ، وبالغ في نهب الأموال من الأهالي حتى لقد نزع أقراط الصبيان من آذانهم ، وجمع ما في البلد من رقيق ، ولم يترك فيها ذهبا ولا فضة الا أخذه ، وكان ما جمعه من فضة شيئا كثيرا بحيث استخدمها الباشا في سك النقود ، وكانت أول عملة تسك في طرابلس ولا يجري تداولها الا فيها (٢٠) ·

وتوفي محمد بن جُهَيم في سنة ١٠٦٩هـ (١٦٥٨م) ، وخلفه ابنه جُهَيم الذي ظل في الحكم حتى وفاته سنة ١٠٩٣هـ (١٦٨٢م) · وتولى بعده أخوه صاحب النجيب الذي امتنع عن أداء الخراج ، كعادة حكام فَزّان عندما يجدون في أنفسهم القوة لمقاومة الوالى، وذلك بحجة أنه سبق أن أداه الى متولى الخزانة· وكان ذلك في ولاية حسين عبازه الذي أرسل قائد جنده مراد بك الى فَزّان ، والتقى الفريقان في دُلَيم (٢١) · وقُتل صاحب النجيب بعد قتال شديد ، واستولى

مراد على الخزانة وكان بها مال كثير جعل مرادا « لا يغير على التجار والرعايا بشيء لامتلاء يده بالخزانة » (٢٢) ، وولى محمد الناصر أخا القتيل الحكم وأسقط عنه مال ثلاث سنوات الى أن يستقر حال البلد ·

وفي سنة ١١٠١هـ (١٦٨٩ـ١٦٩٠م) امتنع محمد الناصر عن ارسال الخراج ، فوجه اليه الوالى محمد باشا الامام ، المعروف بشائب العين، حملة بقيادة يوسف بك الذي سلم الناصر نفسه اليه بعد أن حمى وطيس المعركة بينهما قرب مُرْزُق ، وكان بالحملة محمد الغزيل وابن عمه على من أولاد المِكَنّي ، وهما اللذان أغريا الوالى بارسال الحملة للقضاء على خصومهما في فزان ، وقبل أن يغادر يوسف بك فزان بالخزانة والناصر الى طرابلس ولى عليها محمد الغُزَيِّل· ولكن الأهالى ثاروا عليه بعد خمسة شهور فقط وقتلوه ، وراسلوا تمّاما بن محمد ومحمد ابن جُهَيم بأرض السودان كما أرسلوا الى الوالى في طرابلس بالتزامهم بالخراج ، وقدم الرجلان الى فَزّان وتمت مبايعة تمام بالحكم · ولكن أولاد المِكَني حثوا الوالي على الأخذ بثأرهم ، وخرج عليّ المِكَني على رأس قوة للانتقام لمقتل ابن عمه (محمد الغُزَيِّل) ، ولكن محمداً بن جُهَيم تمكن من أسره وسجنه في سَبهَه ، وتدخل يوسف المِكَني وأطلق سراح أخيه · وهنا ، وبالرغم من تلك الأحداث ، رأى الوالي أنه من الملائم اعادة محمد الناصر الى حكم فَزّان ، فأخرجه من السجن وأرجعه حاكما عليها (٢٣) ·

وفي عهد أحمد باشا القرمانلي (١١٢٣ـ١١٥٧هـ = ١٧١١ـ١٧٤٥م) استمر أولاد المِكَني في ايغار صدر الباشا على محمد الناصر، وأغروه بالتوجه الى فَزّان التي رفضت ارسال الخراج في ذلك الوقت · وقاد الباشا بنفسه الحملة الى فَزّان في سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦ـ١٧١٧م) ، ولكنه اضطر الى رفع الحصار عن مُرْزُق والرجوع الى طرابلس بعد أن ترامت اليه الأنباء بوقوع اضطراب فيها ، وقد لحق به خواص فَزّان ورجالاتها يتعهدون بسداد الخراج بالشروط القائمة· ولكن الباشا اضطر بعد حوالى سنتين الى ارسال حملة أخرى اليهم « بعد أن ظهر من صاحبها من قلة الأدب ما يوجب التوجه اليه » (٢٤) ، ولم تستطع هذه الحملة أن تسيطر على مُرْزُق التي أغلقها الناصر في وجهها ، ولكنها استباحت الجهات التي لم تستجب لسداد الخراج ·

وعند وفاة محمد الناصر سنة ١١٣١هـ (١٧١٨ـ١٧١٩م) خلفه ابنه أحمد الناصر الذي وجه اليه احمد باشا القرمانلي حملة في سنة ١١٤٤هـ (١٧٣١ـ١٧٣٢م) على رأسها ابناه محمد ومحمود ، وأُصيب الناصر بالرعب وطلب الصلح وأعلن التزامه بسداد الخراج وتكاليف الحملة، ولكن الحملة جاءت بالناصر وولده

الى طرابلس حيث دعا الباشا مجلس ديوانه للانعقاد ، وقام بعرض الناصر وولده للبيع بالمزاد العلني ـ كما لو كانا من الأرقاء الأذلاء ، ورسا المزاد على محمد بك (ابن الباشا وقائد الفرسان) بقطعتين صغيرتين من النحاس تعادلان عشرة سنتيمات بالعملة الفرنسية في ذلك الوقت ، ثم أمر الباشا الناصر بالعودة الى فزان ليحكمها باسمه ، وكلف أحد رجاله بمرافقته والقيام بتدمير أسوار مُرْزُق (٢٥) ٠

واستمر أحمد الناصر يرسل الخراج الى طرابلس بانتظام حتى وفاته سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧ـ١٧٦٨م)، وحكم بعده من بيت محمد الناصر الطاهر ثم أحمد ثم محمد ٠ وقد بدأ الأخير حكمه سنة ١٢٠٤هـ (١٧٨٩ـ١٧٩٠م) ، وفي عهده مر بفَزّان الرحالة الالماني فردريك هورنمان ويخبرنا هذا الرحالة : بأن حاكم فَزّان كان يلقب نفسه (بالسلطان) ، ولم يكن يرضى بلقب (شيخ) الا في حضرة الباشا ، وكان العرش وراثيا في أكبر أفراد الأسرة ، ويقيم السلطان في قلعة وله حريم وبلاط أميري ، ويسمى الوزير الأول كليديما والوزير الثاني كيجومه ، وثمة قائد للجند وجماعة من المماليك بينهم بعض الأوروبيين ، ويرسل والى طرابلس كل عام مبعوثه المسمى (بك النوْبَة) لجباية الخراج ، ويسافر في العادة الى فَزّان في شهر نوفمبر ويمشى في ركابه وتحت حمايته الرحالة والتجار (٢٦) ٠

وقد كان (بك النَوْبة) في عهد يوسف باشا القرمانلي (١٢١١ـ١٢٤٨هـ = ١٧٩٦ـ١٨٣٢م) هو محمد المِكَني ، وقد أرسل في سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢ ـ ١٨١٣م) الى فَزّان على رأس حملة كبيرة لتأديب محمد الشريف حاكم فزان « الذي تسامح عن ارسال الخراج ، وأولع بالغناء ، وانهمك في اللذات ومعاشرة المضحكين والصفاعين ، وأهمل الضبط والربط » ، وقتل المِكَني محمدا الشريف وأصبح هو سيدا على فزان « وأتاه الأمر عفوا صفوا ونال أربه بلا مشقة » (٢٧) ٠

وفي سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦ـ١٨١٧م) انتقضت بعض أعمال بُورْنو على حاكمها في ذلك الوقت الشيخ محمد الأمين الكانِمي وعجز عن تأديبها، فاستصرخ يوسف باشا القرمانلي بواسطة مشايخه في طرابلس ـ وكان الكانِمي قد تعلم على أيديهم ، فأرسل الباشا اليه محمد المِكَني في جيش قاتل الثائرين قتالا شديدا حتى استقاموا على الطاعة لحاكمهم ، ثم انقلب المِكَني راجعا بعدد وافر من الرقيق والمتاع (٢٨) ٠

وتنقل الينا تقارير الرحالة في ذلك الوقت صورة عن الوضع الاقتصادي في فَزّان ، وعلى سبيل المثال : كانت سوكنَه تدفع ما يقرب من ألفيْ دولار سنويا

أي بمعدل دولار واحد عن كل مائتي شجرة ، بالاضافة الى التزامها بالانفاق على الحاكم (أو السلطان كما كان يلقب فيها) عندما ينزل بها ، وكان المِكّني يقوم شخصيا بالرحيل من أجل جمع الخراج ويظل بالموقع حتى يسدد ما عليه منه (٢٩) ٠

وفي أواخر عهد يوسف باشا القرمانلي تحرج موقفه للغاية ، فقد ثارت قبائل أولاد سليمان وتم الاعتراف بزعيمها عبد الجليل سيف النصر زعيما لمناطق أُرْفَلّه وسرْت والشاطىء ، وأرسل يوسف باشا نجله عمْورة الى مُصراته ونجله علي بك الى غِرْيان ليحتفظا بهدوء الأهالي في المكانين ويمنعاهم من الانضمام الى الثوار ٠ وقد أثار عمْورة بسبب عنفه الكثير من السخط ، مما اضطر والده الى استدعائه واحلال محمد المِكّني حاكم فَزّان محله : فالمِكّني رغم تقدم سنه كان رجلا عالي الهمة عظيم النشاط (٣٠) ٠

واخيرا وصلت الأخبار بأن عمر شقيق عبد الجليل سيف النصر ، ومعه قوة مسلحة ، استطاع احتلال سُوكنّه وتمكن من التوغل في فَزّان واثارة أهلها ومحاصرة قلعة مُرْزُق ، وكان حاكم فَزّان في ذلك الوقت ـ بعد أن ذهب المِكّني الى مُصراتَه ـ هو أحمد بك جَرْكَس زوج ابنة الباشا ، فقرر الباشا توجيه حملة ضد المتمردين ووضع على رأسها ابنه البِكر سيدى علي ٠ وقامت الحملة بعد أن تم حشدها بصعوبة كبيرة ، عدة مرات وبدون جدوى ، بمهاجمة معسكر عبد الجليل سيف النصر الذي تمركز في مواقع ممتازة في منطقة بني وليد (أُرْفَلّه) ، وسرعان ما أخذت تعاني من نقص المؤن وهروب الجند ، وفي تلك الأثناء تلقى الباشا خبر وفاة حاكم فَزّان وزوج ابنته (٣٢) ٠

وبينما ذلك كان أولاد (بوسيف) يسعون لابرام الصلح بين الطرفين ، على أساس أن يقوم عبد الجليل باخلاء فَزّان ويرد الغنائم ويقدم الرهائن ، ولكن يوسف باشا رفض مسعاهم ، ونشبت معركة جديدة تم التغلب فيها على مقاومة الثوار ، وكانت وساطة مرابطي (بوسيف) مستمرة فقبلها الباشا تحت هذه الظروف الجديدة ، رغم أن غرضها كان كسب الوقت ، بعد أن أصبح عاجزا عن ارسال المؤن والذخائر الى جنده ٠

كما قبل الباشا وساطة القنصل البريطاني في طرابلس ، وكان قد رفضها من قبل (٣٢) ، فانتقل القنصل بنفسه ا لىبني وليد لمفاوضة عبد الجليل الذي رفض اخلاء فَزّان بأي حال ٠ وهنا رأى الباشا أن يستجيب لنصائح محمد المِكّني بترك القتال مع بني وليد والزحف مباشرة على فَزّان ، حيث كانت قلعة مُرْزُق لم تزل تقاوم وحيث كان يدين بالولاء للباشا بعض السكان ٠

وكلف الباشا المِكَني بتنفيذ مشروعه ، فانتقل المِكَني في أوائل مارس ١٨٣٢م من أرْفَلَّه الى فَزّان ، وكان يتحتم على علي بك ابن الباشا أن يتوغل الى ما وراء بني وليد لحماية الزحف الذي يقوده المِكَني ، ولكن نقص الأقوات حال بينه وبين انجاز خطته · وبينما كانت الثورة تمتد ويتسع نطاقها حتى بين الأهالي الذين كانوا موالين للباشا ، عم السخط البلاد بسبب العقوبات القاسية التي نزلت بكل من رفض القتال وفر من الحملة وبسبب سوء الأحوال الاقتصادية التي سببتها نفقات العمليات العسكرية (٣٣) ·

وتلاحقت الأحداث ، وأدى ذلك الى أقصى حالات الفوضى والاخلال بالنظام · ومن ذلك ظهور قوة بحرية انجليزية أمام طرابلس في ٢٠ يوليو ١٨٣٢م ، استدعاها القنصل الانجليزي من مالطه عندما صمم على أداء الباشا للديون المستحقة عليه لبلاده · واضطر الباشا الى فرض ضرائب جديدة زادت من حنق الفئات المتذمرة التي لجأت الى مبايعة محمد بك القرمانلي وقامت بمحاصرة المدينة · واستغل الأهالي في دواخل البلاد الفرصة للتحرر من أي التزام نحو حكومة الباشا ، ثم أخذوا يرقبون الصراع القائم بين علي باشا القرمانلي (١٢٤٨ـ١٢٥١هـ = ١٨٣٢ـ١٨٣٥م) ـ الذي تولى الحكم بعد تنازل والده يوسف باشا مباشرة ـ وبين منافسه محمد بك القرمانلي ·

ولجأ علي باشا القرمانلي الى بذر بذور الخلاف بين خصومه ، وتمكن من اثارة سكان مُصراته ضد عثمان الأدغم أكبر هؤلاء الخصوم وأقواهم · فقد كان على رأس سكان مُصراته الأخوان عبد الله وأحمد المنتصر وقبائل المجاوبة والفراتسة التي كانت تحت حماية عبد الجليل سيف النصر ، وكان من المتوقع ألاّ ينضم هؤلاء الى الثوار ـ بسبب ما بينهم وبين أسرة الأدغم من منافسة قديمة، الأمر الذي يستدعي استعدادهم الدائم لمقاومة أية مخاطر تكون مصدرها هذه الأسرة · وحاول الباشا ضمهم الى جانبه بالتنازل لهم عن فَزّان ، وأصدر أمره الى محمد بك المِكَني ـ الذي كان قد حرر مُرْزُق وأعاد سلطة الباشا اليها ـ بالانسحاب منها ·

وبعد اخلاء فزان أصبح عبد الجليل أهم شخصية في الايالة ، فعين أحد أبنائه حاكما لمُرْزُق ، وعين الابن الآخر حاكما لسُوكنَه ، أما هو فقد ظل يتزعم البدو الرحل متحاشيا بكل عناية تأييد هذا أو ذاك من الباشوات القرمانليين المتناحرين · وهكذا وقف عبد الجليل سيف النصر موقف الحياد ، وكان صاحب المنطقة الشرقية من طرابلس وكذلك فَزّان بلا منازع (٣٤) ·

وهكذا كان الحال في فزّان عندما وصل أسطول عثمان الى طرابلس في يوم ٢٦ مايو ١٨٣٥ ، وانتهى حكم القرمانليين بطرابلس بعزل علي باشا القرمانلي الذي حلّ محله مصطفى باشا نجيب معينا من قبل السلطان العثماني ·

ويمكن القول أنه منذ سنة ١٨٤٢م انتهى عهد المشايخ (أو السلاطين) والأسر الكبيرة في فزان ، وأصبح يحكمها منذئذ حاكم يرسل اليها من قبل والي طرابلس· واستمر هذا الأمر طوال العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ـ١٩١١م) وحتى مجيء الايطاليين الى البلاد ·

الحدود الادارية الجنوبية لفزّان :

في عهد نديم باشا والي طرابلس (١٢٧٧ـ١٢٨٣هـ = ١٨٦٠ـ١٨٦٦م) صدر فرمان عال بتسمية ايالة طرابلس باسم (ولاية طرابلس الغرب) · وقد قسمت الولاية ، وحتى غداة الاحتلال الايطالي للبلاد الى أربعة ألوية (أو سناجق أو متصرفيات) كان لواء فزّان أحدها ، وكان على رأس كل لواء متصرف · وقسمت الألوية الى أقضية يدير كل منها قائمقام . كما قسمت الأقضية الى نواح في كل منها مدير ناحية · وارتبط هؤلاء الموظفون جميعا بطريق التسلسل الادارى : مدير الناحية بالقائمقام ، وهذا بالمتصرف ، وهذا بالوالى ، وهذا بوزير الداخلية في استانبول ·

وكان لواء فزّان في هذا النظام الاداري يضم :

مركز اللواء : مُرْزُق ·

النواحي المربوطة بمركز اللواء : سَبهَه ، وادي عُتبة ، زَلّة ، القَطرون ، الوادي الشرقي ، الوادي الغربي ·

أقضية : سوكنَه ، الشاطئ ، تِبْورَشادَه (ومركزه بَرداى) ، غات والنواحي التابعة له جانت ، بِرْكِت (٣٥) ·

وكانت النواحي في اللواء ، شأنها في ذلك شأن النواحي في الولاية ، على ثلاث درجات (٣٦) ·

وكان لفزّان أربعة أعضاء ، يتم اختيارهم بالانتخاب ، ويمثلون اللواء في مجلس ادارة الولاية الذي كان يتألف من : الوالى ومعاونه والقاضى والدفتردار والمحرر . وهم كبار موظفي الدولة (٣٧) ·

وكانت مُرْزُق وغدامس تمثلان أفضل المواقع في لواء فَزّان كمركزي اشعاع للنفوذ السياسي والتجاري لتركيا في تلك العهود التي كانت تتخذ فيها قوافل السودان من طرابلس نقطة انطلاق ومحطة رئيسية · ولكن الأتراك لم يفطنوا بسرعة ، أو لم يعرفوا ، طريقة استغلال هذه الميزة التي كانت توفرها لهم هذه المراكز الداخلية ذات الموقع الممتاز ، وهكذا اقتصر الدور الذي لعبته هذه المراكز ، ولفترات طويلة ، على مجرد الاشتراك في حركة القوافل والتجارة · ومع ذلك فيجب أن نقرر أن الحكومة التركية كانت تهتم ، بشكل ما ، بظهير الولاية لأسباب سياسية ، وبخاصة في القطاع السفلى من الحدود الجنوبية (جنوب فَزّان) التي لم يقم بشأنها أي اتفاق بين تركيا وفرنسا ، وخاصة بعد احتلال فرنسا لتونس ، فقد كانت هذه الحدود منشأ خلافات بين الطرفين مذ أخذ الفرنسيون في مدّ سلطانهم الى غرب الخط الواقع بين غدامس وغات والمناطق الواقعة جنوب هذه الواحة الأخيرة · ويشهد باهتمام الحكومة التركية كتاب صغير مجهول عنوانه (أهمية طرابلس وبنغازى والصحراء الكبرى والسودان) من تأليف العقيد عمر صبحي ، وقد قدمه مخطوطا الى السلطان عبد الحميد الثاني في شهر مايو ١٨٨٨م وتم طبعه في الآستانة سنة ١٨٩٠م (٣٨) ·

وهذه هي الظروف بعينها التي أدت الى قيام الأتراك بضم قضاء تِبورَشادَه (ومقره بَرداى) (٣٩) الى لواء فَزّان · فقد قام الوالى أحمد عزت باشا (١٢٧٤ـ ١٢٧٧هـ = ١٨٥٧ـ١٨٦٠م) في خريف ١٨٥٩م بأولى خطوات التوغل في جنوب فَزّان ، باسطا الحماية التركية على جبال تِبِستى دون أن يتبع ذلك نتائج محسوسة · فقد توغلت الحملة بين التِبورَشادَه ، واستولت على بعض العبيد والبضائع وكان يملكها بعض تجار غَدامُس من رعايا الباب العالي ، ولكنها ـ وهي في طريق العودة ـ تعرضت لهجمات قاضية من الطَوارِق وتمت ابادتها الا من عدد قليل من الجند تمكن من الفرار · وبالفعل فان الرحالة الألماني نختجال الذي كان موجودا في فَزّان سنة ١٨٦٩م لا يشير الى أية سيادة أو حماية فعلية للترك وحاكم فَزّان على تلك المنطقة ، مع أنه يقرر ـ في نفس الوقت ـ أن سكان فَزّان الجنوبية ينظرون الى سكان تِبِستى كجزء منهم (٤٠) ·

وبعد عشر سنوات ، وفي سنة ١٨٧٩ ، تدارك مصطفى فائق باشا متصرف فَزّان الأمر ، فأسس قضاء تِبُور َشادَه ومركزه بَرداى (٤١) · وبعد سنتين (١٨٨١م) أراد الوالي محمد نظيف باشا التمسك بالنتائج التي أمكن تحقيقها حتى ذلك الوقت ، وذلك بارسال حامية الى مركز القضاء · ولكن أحمد راسم باشا الذي خلفه في الولاية ، وفي نفس السنة ، لجأ الى عزل متصرف فَزّان النشيط ولامه « على تبذير المال في سبيل طموحه ، والجري وراء مشروعات خيالية بحجة اخضاع السودان كله ، مقابل صرف مرتبات للزعماء » (٤٢) ·

وفي سبتمبر ١٩٠٠ كتب محمود بك متصرف فزّان الى الوالي بطرابلس يبلغه باحتلال الفرنسيين لمنطقة توات ، ويشير الى التحركات الفرنسية للاستيلاء على بُورْنو واقليم التِبْو (التِبِستى) ، ويخلص الى ضرورة القيام باحتلال التِبِستى عسكريا وبناء ثكنة للجند هناك ، خاصة وأن قبائل التِبْو بفرعيها التِبْورَشادَه والتِبوركوار ـ على حد قوله ـ يمكن ادخالها بسرعة تحت الادارة التركية (٤٣) ٠

وتحت هذه الظروف وجه الاتراك حملة في ١٩٠١ـ١٩٠٢م الى التِبْوكوار (وحاضرتهم غارو أو بيلما) ، وثارت الصحافة الفرنسية لهذا الأمر ، ولم تهدأ ثورتها حتى تم للفرنسيين احتلال بيلما في سنة ١٩٠٦م وضموها الى اقليمهم العسكري بالنيجر ٠ واقتصر رد الفعل عند الاتراك ، وكان متأخرا ، على القيام باعادة انشاء قضاء تِبْورَشادَه (وحاضرته بَرداى) ، في نفس السنة (١٩٠٦م) على عهد الوالى رجب باشا ٠

وبعد ذلك ، ولتقرير سيادة الترك في جنوب فزّان فكرت الحكومة التركية في الاحتلال الفعلي والدائم لاقليم التِبِستى ٠ وفي رسالة باللغة التركية (في محفوظات طرابلس) بتاريخ ٦ مارس ١٩٠٦م موجهة الى متصرف فزّان بلا توقيع (٤٤) ، يُقترح انشاء ناحية في المنطقة الشرقية من التِبِستى واسناد منصب المدير الى الزعيم (مانيا كامتى) بمرتب قدره ٢٠٠ قرش شهريا ، على أن تكون تابعة لقضاء تِبْورَشادَه ، والغرض من ذلك الاجراء هو ضمان خضوع هذا الزعيم الذي كان يثير الاضطرابات في التِبِستى بغزواته المستمرة ، هذه الاضطرابات التي أدت الى تحويل طريق القوافل المتجهة من الواداي الى الشمال عبر فزّان عن التِبِستى ٠ كما تتضمن الرسالة الاقتراح بانشاء حامية تركية في بَرداى ، وتختم الرسالة بـ « أن الاحتلال الدائم لاقليم التِبِستى سيخلق انطباعا ممتازا في البلدان الاسلامية ، مثل باقِرْمى والواداي اللتين لم تقبلا بالاحتلال الفرنسى ، كما سيكون مفيدا للمصالح التركية » ٠

ونتيجة لذلك قام سامي بك متصرف فزّان بتعيين الكابتن طبيب عثمان أفندي قائمقاما على تِبورَشادَه ، وأرسله الى بَرداى سنة ١٩٠٩م حيث تم انشاء ثكنة في كل من بَرداى وزّوار (٤٥) ٠ وفي أغسطس ١٩١١م رفع الكابتن أحمد رفقي العلم التركي على عين كلاك أو قلاكه
مركز بورْقو، وأبدت السلطات الفرنسية في بيلما تحفظها ازاء هذا الاجراء وتقرر أن تجتمع لجنة فرنسية تركية مشتركة في خريف هذا العام لتحديد الحدود الجنوبية التي تمتد اليها السلطة الادارية للواء فزّان في اتجاه الصحراء

الفرنسية ، ولكن هذا الاجتماع لم يتم لوقوع الغزو الايطالي للبلاد · وفي سنة ١٩١٢م، وبعد عقد الصلح بين ايطاليا وتركيا أخلَت الوحدات التركية التِبِستى وبورْقو واحتلتهما القوات الفرنسية في سنتي ١٩١٣ـ١٩١٤م ·

أما عن قضاء غات ، أحد أقضية فَزّان ، فقد كانت السيادة التركية عليه أكثر رسوخا · ففي سنة ١٨٧٥م ، وفي عهد الوالي مصطفى عاصم تهيأت الفرصة للأتراك لكي يبسطوا سيطرتهم على تلك الواحة ، وكان ذلك حين نشب نزاع بين مشايخ طوارِق أزْقَر وطوارِق هَقَّار ، فتدخل الوالى الى جانب الشيخ محمد صافي وعينه قائمقاما على غات ومنحه لقب باشا (٤٦) ·

وفي ديسمبر ١٨٨٦م قام بعض الطَوارِق المتمردين بقتل حامية غات ، وكان هذا الحادث حلقة من أحداث ثورة كبيرة قام بها الشريف حميد في فَزّان ، ودعا فيها الى الجهاد لمكافحة الظلم وفرض تعاليم الدين الصحيحة وطرد الحكام الترك من البلاد · وقد أثرت هذه الثورة لدرجة كبيرة على وجود الدولة في فَزّان وغات على وجه الخصوص ·

وقد بدأت الثورة في سنة ١٨٨٤م وشغلت السلطات العثمانية حتى سنة ١٨٨٩م ، وتصدى الوالي راسم بكل قوته للقضاء عليها ، وزاد من اهتمامه بهذا الأمر أنه كان مهتما بمد نفوذ الدولة في السودان الأوسط ـ الأمر الذي كان يتطلب وجودا قويا للدولة في فَزّان ·

والمعلومات قليلة عن ثورة الشريف حميد، وقد أشار اليها كاكيا (٤٧) حين قال ان ثورة بدأت ضد الدولة بعد احتلال تونس على يد فرنسا بفترة قصيرة ، ثم قص قصة رجل يدعى الصغير (أو الأصغر) فتك بحامية غات التي كان فيها موظفان تركيان قتل أحدهما أسرته قبل أن يتم قتله· كما أشار الحشائشى (٤٨) الى الثورة ، وكان قد زار غات سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤ـ١٨٩٥م) ، ومن أهم أسباب الثورة عنده : منع الطَوارِق من الاغارة على الأركاب ، ونفي الحاكم لعدد من الطَوارِق الذين كانوا يخلون بالأمن في المنطقة ، ويقرر الحشائشى أن ابن قدارة متصرف فَزّان عمل على القضاء على الثورة « بحسن تدبير ورأي مصيب ، وانحسمت النازلة ، وعم الأمن بلاد غات » ·

وقد تمكن الدكتور أحمد صدقي الدجاني من الاطلاع على الوثائق المتعلقة بهذه الثورة في دار المحفوظات بطرابلس ، واستوفى الكتابة عن أحداث الثورة (٤٩) · ومع ذلك فتعوزنا التفاصيل عن كيفية القضاء على الثورة وعما

جرى مع من قام بها ، اللهم الا من اشارة وردت في برقية أرسلها الوالي أحمد راسم الى رياسة الوزراء في استانبول بتاريخ ١٦ كانون أول ١٣٠٨هـ مالية (١٨٩٠ـ١٨٩١م) يتحدث فيها عن « ظهور الشريف الكاذب المتمهدى بالشاطىء في فَزّان ، والقضاء عليه وعلى حركته التمردية » (٥٥) · وهكذا تم القضاء على الثورة واحلال الهدوء في منطقة غات ·

وكانت جانت احدى ناحيتين كانتا تتبعان غات وكانت أحد المراكز التي تقع على طريق القوافل بين طرابلس وغات ولكنها لم تكن في نفس أهميتها · هذا ويشكك عزيز سامح في دخول جانت ـ أصلا ـ تحت الادارة التركية ، ويقول : ان سكانها كانوا يتعاملون مع سوق غات ، وأن شيخها (عمر) كان يتولى الرئاسة فيها بحماية حكومة غات ومساعدتها · ومهما يكن الأمر ، فان قوة فرنسية قامت في سنة ١٩٠٨م بانزال العلم التركي في جانت ، وتردد اعتزام تركيا على اعادة احتلالها في سنة ١٩١٠ أو ١٩١١م ، ولكن فرنسا قامت باحتلالها بالفعل سنة ١٩١٣م (٥٢) ·

عدد السكان في فَزّان :

وعن عدد السكان في فَزّان : يتضح من رسالة بعث بها متصرف فَزّان الى الولاية بتاريخ ٦ جمادى الأولى ١٣١٦ (٢٣ سبتمبر ١٨٩٨) ان عدد سكان المتصرفية يقدر بحوالى عشرين ألفا (٥٣) ، هذا في الوقت الذي قدر فيه مجموع السكان في الولاية بما لا يزيد عن ٧٥٠ ألف نسمة · وبينما ذلك نجد كاكيا يقدر عدد سكان المتصرفية في سنة ١٩١١م بحوالى ٥٧٥ ألف نسمة (٥٤) ·

وقد قدر الرحّالة الألماني نختجال عدد التِبو الذين كانوا يسكنون منطقة تِبِستى في أقصى جنوب فَزّان بأقل من عشرة آلاف ، وذلك في سنة ١٨٦٩م (٥٥) ·

أما عدد الطَوارِق في الولاية فيقدره الحشائشى في سنة ١٨٨٢م بما لا يتجاوز التسعة آلاف ، ويقرر أن عددهم قبل تلك السنة كان أكبر من ذلك · وسبب النقصان في العدد عند الحشائشى هو : الجوع وغزوهم لبعض القبائل المجاورة ، مما يكثر فيهم الموت (٥٦) ·

وعلى وجه العموم ان التقديرات السابقة لا تقوم على أساس احصائي يمكن الاعتماد عليه ، والميل الى أن تكون أعداد الأهالي أكثر من ذلك هو ما يرجحه التحقيق العلمي ·

وهناك طائفة قليلة العدد من سكان فَزّان ، وهي فئة المنفيين · فقد كانت فَزّان من ليبيا أقصى منافي الدولة لتوغل قراها القليلة في الصحراء ، وبُعدها عن التطور الحضاري ، وقسوة الحياة فيها · وكان في مُرْزُق مركز المتصرفية سجن مبني من الطين ضاق بالمنفيين بعد أن كثر عددهم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني فقاربوا المائة · وقد شكا متصرف فَزّان في كتاب بعث به الى طرابلس من ضيق السجن وقلة عدد القوة الموكل اليها أمر الحراسة ، واقترح راجيا توجيه المنفيين الى جهات أخرى (٥٧) ·

وأخيرا يجب ملاحظة أن أهالي فَزّان لم ينكمشوا على أنفسهم في بلادهم ، فقد أشار بعض الرحالة الى وجود الفَزّانيين ـ بل والطَوارِق ـ في طرابلس نفسها ، ومن هؤلاء مابل تود التي تحدثت في سنة ١٩٠٠م عن الفَزّانيين في مدينة طرابلس (٥٨) ·

فَزّان منذ الغزو الايطالي لليبيا

أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ وبدأت في احتلال ليبيا · وبعد أن احتلت طرابلس استمرت في عملياتها العسكرية لاحتلال المدن الساحلية بمساعدة الاسطول · وأمام ضعف ايطاليا عن الحصول على انتصار واضح ، أصدرت الحكومة الايطالية مرسوما في ٥ نوفمبر ١٩١١ بوضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الايطالية · ولكن الموقف الدولي ، وقتذاك ، لم يكن يسمح للدول بالاعتراف بهذا الاعتداء الواضح على الحدود الاقليمية لتركيا ، وأصبح على ايطاليا أن تستمر في الحرب الى النهاية وأن توسع من عملياتها العسكرية ·

وفي ١٥ اكتوبر ١٩١٤ تم توقيع معاهدة الصلح بين ايطاليا وتركيا في أوشي قرب لوزان · وهكذا انتهت الحرب رسميا بين الدولتين ، وانتهت الحرب في اقليم طرابلس بانسحاب القيادة مؤقتا من الميدان ، بينما استمرت الحرب في برقة ووقع عبئها على السنوسيين · وظلت ايطاليا محافظة على المدن الساحلية ، وأخذت في الاستعداد للتوغل في الداخل ، مستعينة في ذلك ببعض رجالات البلاد ·

وقد تمكن الايطاليون من أن يضموا عبد النبي بن خير من بني وليد الى صفوفهم ، كما تمكنوا بواسطته من التفاهم مع سيف النصر الذي عينوه متصرفا على الجُفرَة (سُوكنَه) ، ثم تقدم الايطاليون الى بني وليد واحتلوها بواسطة عبد الهادي بن قطنش · وبينما ذلك كان المجاهد محمد نوري السعداوي يسعى على رأس وفد من زعماء البلاد الى مواطن الشيخ سيف النصر في سُوكنَه لدعوته وعشيرته الى المشاركة في الجهاد المقدس (٥٩) · وكان ذلك في وقت أصبحت فيه أهم البلاد وأغناها في يد الايطاليين ، ودخل نفوذهم من سِرْت الى حدود تونس ولم يبق لكي يستكملوا احتلال البلاد الا فَزّان والجُفرَة وما حواليها من ناحية الجنوب ، وانتهت المقاومة في الجبل الغربي بعد واقعة جُندوبَه (٦٠) وانسحب السيد محمد بن عبد الله واخوانه أولاد أبي سيف الى فَزّان ·

وبعد الاتفاق مع سيف النصر سارت قوة ايطالية الى سُوكنَه حيث يقيم ، واحتلتها بدون مقاومة· وأخذ الايطاليون بعد ذلك يرسلون جواسيسهم الى فَزّان لاستطلاع أحوال السيد محمد بن عبد الله ، وجمع المعلومات عنه وعن أتباعه الذين اعتصموا هناك في انتظار الايطاليين مرة أخرى ·

وقَبِل عبد النبي بن خير أن يكون على رأس الجيش الذي سيطارد السيد محمد بن عبد الله ، بشرط أن يُنزع سيف النصر عن سُوكنَه ويحل هو محله

فيها · ووافق الايطاليون على ذلك ، وانتقل عبد النبي الى سوكنه حيث أسندت اليه متصرفية الجفرة ، وكان الايطاليون قد نزعوها من سيف النصر قبل وصوله الى هناك · وأخذ عبد النبي ، بعد ذلك ، في مكاتبة أولاد أبي سيف والمقارحة والزنتان وغيرهم من سكان الجنوب ، لاقناعهم بالاستسلام للايطاليين وأنه سيكفل لهم كل أسباب الراحة والتفاهم معهم (٦١) ·

وبدأ الايطاليون عملياتهم العسكرية ضد السيد محمد بن عبد الله في ٦ ديسمبر ١٩١٣ ، وكان عبد النبي بن خير في مقدمة الحملة · وتحرك الايطاليون من سوكنه الى براك ، ووقعت بين الطرفين معارك شديدة في الشب وأشكده (٦٢) في المدة بين السادس والثاني والعشرين من شهر ديسمبر ، وفي اليوم الثالث والعشرين منهذا الشهر وقعت واقعة المحروقة(٣٦) التي استشهد فيها السيد محمد عبد بن عبد الله وجمع من أعوانه المخلصين · وأصبح من المعتقد عند الايطاليين بعد هذه الواقعة أنه قد تم التغلب على الصعوبات الناشئة من جماعات البدو الرحل ، الا أن الامر كان ـ في الواقع ـ على غير ذلك طالما لم يتم الاستسلام النهائي لهذه الجماعات ، وطالما استمروا في مجموعهم مسلحين ومعادين للايطاليين (٦٤) ·

وبعد مقتل السيد محمد بن عبد الله استمر من بقي حيا من أعوانه في محاربة الايطاليين ، وكان من كبارهم الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني الذي التجأ ومن معه من الزنتان الى نواحي الرملة الغربية واحتلوا مرزق التي صارت مأوى لكل محب للجهاد حتى كثر عددهم (٦٥) · ولكن الايطاليين تمكنوا ومعهم عبد النبي بن خير ، من احتلال مرزق في اليوم الثالث من مارس ١٩١٤ ؛ وباحتلالها انتهت المقاومة الجدية في طرابلس كلها ، وأصبح نفوذ الايطاليين ممتدا من سرت الى حدود تونس ومن فزان حتى البحر المتوسط · والى هنا ينتهي الدور الأول من الجهاد الوطني في طرابلس ويبدأ بعده الدور الثاني من الجهاد ضد الايطاليين ، وهو ما يعرف بدور « حرب العصابات » ·

وكانت غزوة « القاهرة » (٦٦) في ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ هي فاتحة هذا الدور· وكان رئيس القوة التي هاجمت القاهرة هو الشيخ سالم بن عبد النبي ، فطردت الايطاليين منها وغنمت أسلحة وأرزاقا كثيرة ·

وبعد القاهرة سقطت أوباري ، وأندلعت الثورة ضد الايطاليين في أنحاء فزان · ولم يبق أمام الكولونيل امياني القائد الأعلى للقوات الايطالية فيها والمقيم في مرزق الا الانسحاب منها · وتمكن امياني ومعه بعض الضباط

والجنود الأوروبيين ، بعد أن تركوا جنود المستعمرات لمصيرهم ، من الانسحاب من مُرْزُق في يوم ١٠ ديسمبر ١٩١٤ في ست سيارات دخلوا بها الصحراء ناجين بأنفسهم حتى وصلوا الى مُصرَاطَه بعد خمسة عشر يوما • وأعقب انسحاب امياني خروج الطليان من غات ، كما خرجوا من الجُفرَة في ٢٧ يناير ١٩١٥ ، وبهذا خلت الجهات الجنوبية كلها منهم (٦٧) •

بعد ذلك تقدمَ امياني الى الحكومة الايطالية بمشروع يريد منها أن تطلق يده فيه حتى يضمن استرداد فَزّان ، ولما كانت الحكومة تثق فيه كقائد درس الصحراء ومارس فنون الحرب فيها فقد استجابت لطلبه • وكان مشروع امياني لاسترداد فَزّان يقوم على الاطباق عليها بجيشين في وقت واحد : يتجه الجيش الأول اليها جنوبا عن طريق غِرْيان ومَزْدَه والقُرَيَّات ، ويتجه الجيش الثاني شرقا الى سِرْت ومنها الى الجُفرَة • وقد استشار امياني في هذه الخطة بعض المواطنينَ العاملين مع الطليان ، كعبد النبي بن خير ـ الذي كان في ذلك الوقت مستشارا للايطاليين في طرابلس ، فحبذوها له (٦٨) •

أما الجيش الأول ، وكان معه راسم كُعبار من رؤوس الوطنيين، فبينما كان في طريقه تمت هزيمته هزيمة منكرة في وادى مَرْسيط في ٧ ابريل ١٩١٥ (٢٢ جمادى الأولى ١٣٣٣) ، ونجا منه نفر قليل منهم راسم نفسه •

أما الجيش الثاني ، فكان يتألف ـ علاوة على الايطاليين ـ من أربعة عشر ألفا من الأهالى ، وكان معه عدد من رؤوس الوطنيين ، كل واحد منهم على رأس جماعة من قبيلته ، ومن هؤلاء الرؤوس رمضان السويحلى من مُصرَاته وعبد النبي بن خير من أرْفَلَّه • وبينما كان الجيش في طريقه الى سِرْت ، هذه البلدة ذات الموقع الاستراتيجي والتي تربط شرق البلاد بغربها ، ورمضان السويحلى في الميمنة والكولونيل امياني في القلب وبقية الجيش في الميسرة والمؤخرة ـ بينما ذلك كانت الرسل تروح وتجيء بين رمضان والمجاهدين في سِرْت للقيام بعمل كبير ضد الايطاليين • وكانت آخر رسالة أرسلها رمضان الى المجاهدين ، وحملها اليهم عمر أبو دبوس ، ترجو من المجاهدين أن يعقدوا الصلح مع الايطاليين مؤقتا ، فان لم يقبلوا ذلك فليبتعدوا قليلا عن طريق الجيش حتى يصل الى بوهادى (٦٩)، وكان رمضان يرى في قوة الطليان وكثرة عددهم ما لا قبل للمجاهدين به ، فكان يتوسل بما يقترح لاحكام تدبير خطة يقضى بها على هذا الجيش في سعة من الوقت وكثرة في العدد ، خاصة وأن قيادة الجيش كانت تسعى للوصول الى بوهادى ـ وقد يكون في تحقيق ذلك اقناع للايطاليين بأنهم نجحوا في تنفيذ خطتهم ، والأمر الطبيعي بعد ذلك أن يبدأوا في التوغل نحو الجنوب في اتجاه الجُفرَة : وحينئذ يمكن الاطباق على الجيش من كل ناحية وأخذه في الصحراء •

لكن المجاهدين رفضوا رجاء رمضان · وأخيرا ، وفي ٢٩ ابريل ١٩١٥ (الخميس ١٥ جمادى الآخرة ١٣٣٣) أمر امياني بالهجوم على المجاهدين وحمى وطيس المعركة · ولكن رمضان تمكن من تنفيذ خطته ، فأطلق ومن معه النار على الايطاليين من الخلف ، وفي نفس الوقت أغار حمد سيف النصر على ميمنة المقدمة فتوقفت قليلا ، وتمكن المجاهدون من ركوب أقفية الايطاليين ، وتمزق الجيش ولم ينج منه الا خمسمائة جندى ، وهكذا وقعت معركة القُرْضابِيَّة المشهورة (٧٠)·

وكانت خسائر الايطاليين في القُرْضابِيَّة كبيرة للغاية ، ويشير جرازياني الى هذه الخسائر الكبيرة التي أصابت الايطاليين في عامي ١٩١٤ ، ١٩١٥م ، فيذكر ـ في وقت لاحق ـ بأن كل طرقات فَزّان والأودية المملوءة بالأوحال والأودية المنعزلة كانت تبدو ناصعة البياض بعظام الجنود الايطاليين الذين قتلوا في هذين العامين (٧١) ·

وبعد القُرْضابِيَّة نجا امياني الى سِرْت جريحا ، وسار رمضان السويحلى ومعه قومه الى مُصراطَه وحاصروها ، وتم حصار الايطاليين في كل مكان وانسحبت حامياتهم من مواقع عدة ، حتى اقتصرت سلطتهم عند نهاية الحرب العالمية الاولى على الساحل عند مناطق : طرابلس والخُمس وزِوارَه دون غيرها (٧٢) ، أما فَزّان فقد كانت مستقلة منذ واقعة القاهرة (في ٢٧ نوفمبر ١٩١٤) عن سلطات الاحتلال في البلاد ، ثم خضعت لمُصراطَه وأصبحت تتلقى منها الأرزاق والسلاح، وكان ذلك بعد أن شكّل رمضان السويحلى حكومة وطنية برئاسته في مُصراطَه بعد اجلائه الطليان عنها في ليلة الخامس من أغسطس ١٩١٥ عقب موقعة القُرْضابِيَّة ·

وعند اعلان الجمهورية الطرابلسية في ١٣ صفر ١٣٣٧ (١٦ نوفمبر ١٩١٨) أسفرت نتيجة الانتخاب لمجلس شورى الجمهورية عن انتخاب عبد الرحمن بركان عن مُرْزُق ومحمد بن احمد الفايدي عن الشاطئ (٧٣) · وقد أشار جرازياني الى الفترة التي بدأت باعلان الجمهورية في طرابلس وحتى سنة ١٩٢٢ بأنها فترة اذلال للايطاليين ·

ومنذ سنة ١٩٢٢ ، وعلى وجه التحديد منذ ٢٦ يناير ١٩٢٢ (٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٠) ، وحتى أواخر ديسمبر ١٩٢٣ ، وبعد أن وصلت الأمداد الى الايطاليين ، تم لهم احتلال كثير من المدن ، تلا ذلك انتهاء المقاومة في طرابلس حتى فَزّان ، وذهب الناس مذاهب في طريق النجاة بأنفسهم : فمنهم فريق قصد تونس ، وآخر قصد مصر ، وثالث ذهب الى فَزّان (٧٤) ومن الفريق الأخير جماعات كثيرة من البلاعزة وأُرْفَلَّة وغِرْيان والزِنتان وغيرهم ·

كانت فَزّان في ذلك الوقت تتبع مُصراطَه ، ويحكمها خليفة أفندي الدعيك ، المشهور بخليفة الزاوى ، من قول أوغلية مدينة الزاوية (٧٥) · وقد تكونت من بعض الجماعات التي ذهبت الى فَزّان عصابات انتشرت في طول البلاد وعرضها ، كانت تداهم قوافل الايطاليين في هذه الجهات حيثما تعثر عليها معتمدة في ذلك على مساندة حكومة الزاوى ، كما ساعدها في ذلك أن الايطاليين كانوا مشغولين في ذلك الوقت بمحاربة عمر المختار في الجبل الأخضر · وبعد وفاة رمضان السويحلي في مُصراطَه استقل خليفة الزاوي بفَزّان ·

وفي الوقت الذي وصل فيه خليفة الزاوي الى فَزّان أول ما وصل كانت هناك حملة أخرى ، يقودها حليف حكومة مصراطة عبد النبي بن خير من أُرْفَلَّة ومعه برتو توفيق ، تشق طريقها الى الجُفْرَة وبها عبد الجليل سيف النصر الذي سلم المنطقة الى عبد النبي بدون مقاومة ، ثم سلمها الى برتو توفيق ورجع الى أُرْفَلَّة ، ولكن بعد انسحاب عبد النبي مباشرة قام عبد الجليل بمهاجمة حاميتها الضعيفة واستولى عليها ، ثم أخذ بعد ذلك في مناوءة خليفة الزاوى في فَزّان — وكان قد صادر أملاك سيف النصر فيها · واستمر تالحرب بينهما حتى سنة ١٩٢٦ حين ترك الزاوى فَزّان لسيف النصر وذهب الى الايطاليين في طرابلس· وهكذا أصبح عبد الجليل سيف النصر يسيطر على كل فَزّان بما فيها الجُفْرَه·

وعندما استعدت ايطاليا للعمل على ضم فَزّان عينت بادوليو حاكما عاما على طرابلس في ديسمبر ١٩٢٦ ، فتولى سلطة الحاكم العام بعد توحيد ادارة قطريْ برقة وطرابلس ، وكذلك سلطة القائد الأعلى للجيش · وكانت الحكومة الايطالية قبل مجيء بادوليو ترى أولوية القضاء على حركة عمر المختار في الجبل الأخضر قبل توجيه الحملات الى فَزّان ، فلما جاء بادوليو قرر أن تكون الأولوية للعمل على احتلال فَزّان والقضاء على عصابات المجاهدين المنتشرة بين سِرْت وغَدامُس ·

وهكذا بدأت العمليات العسكرية في فَزّان في أواخر اغسطس ١٩٢٩ (٧٦) · واحتل الايطاليون غات ، واتجه جيش الى فَزّان عن طريق سِرْت وكان معه عاكِف امسيك الفِرْياني ، كما اتجه جيش آخر على طريق القُرَيَّات وكان معه خليفة الزاوي · ومر هذا الجيش الأخير بديار أولاد أبي سيف ، واستمر في طريقه الى أن تم احتلال فَزّان على يديه في ١٩٢٩ ، وفر عبد الجليل سيف النصر فتعقبه الايطاليون وأخذوا كل ما جمعه من أموال · وبعد انهيار المقاومة في فَزّان فر أكثر من التجأ اليها من المهاجرين الى تونس والجزائر والسودان ومصر وأسلم نفسه من لم يقدر على الفرار (٧٧) ·

ولم يستتب الأمر للايطاليين في فَزّان ، فبعد عشر سنوات قامت الحرب العالمية الثانية · وكانت فرنسا مهتمة بمدّ نفوذها عبر الصحراء حتى السودان الأوسط ، فتطلعت للسيطرة على فَزّان ، وفي ٤ ، ١١ يناير ١٩٤١ أغارت الطائرات الفرنسية من السودان على مطار مُرْزُق الايطالي ودمرته ، وبعد ذلك تعرضت واحة الكُفرَة وجنوبي فَزّان لعدة هجمات جوية· وفي ١٢ يناير سلمت مُرْزُق للفرنسيين ، وفي خلال هذا الشهر تم للفرنسيين احتلال المراكز الهامة في فَزّان : سَبهَه والقَطرون وغيرهما ·

ومنذ الساعة الأولى لاحتلال فَزّان أظهر الفرنسيون رغبتهم في البقاء فيها ، دلت على ذلك بياناتهم وتصريحاتهم · وطالبت فرنسا في هيئة الأمم المتحدة بأن تُنتدب على فَزّان ، وصرحت بأنها جزء متمم لتونس وانها المحطة الرئيسية للطريق الجوي بين فرنسا ومدغشقر ·

وفي سنة ١٩٤٣م بعد أن استقر جيش فرنسا الحرة بقيادة الجنرال لى كلير في فَزّان تم تأسيس ادارة عسكرية فرنسية فيها ظلت مستقلة بادارتها حتى اعلان استقلال ليبيا سنة ١٩٥١ ·

وقد استقلت ليبيا في هذه السنة باسم (المملكة الليبية المتحدة) التي كانت تضم الولايات الثلاث : برقة وطرابلس وفزان · وفي سنة ١٩٦٣ تغيّر الاسم الى (المملكة الليبية) ، وألغي نتيجة لذلك ـ دستور الاتحاد · وبعد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ أصبحت ليبيا تُعرف (بالجمهورية العربية الليبية) ، وألغى مجلس قيادة الثورة الليبية التقسيمات الادارية التي كانت قائمة في العهد الملكي ، وأُنشئت تقسيمات ادارية جديدة ، وطبقا لهذه التقسيمات الجديدة أصبحت فَزّان محافظة ـ بحدود جديدة ـ مركزها سَبهَه وتضم بعض المتصرفيات والمديريات والمحلات وعدداً من السكان يقدر بحوالى ٩٧ ألف نسمة (١٩٧٠) ·

المراجع والحواشي

(١) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى ١٨١١ ميلادية ، طرابلس. ص ١١ .

(٢) كانت أوبا تقوم محل طرابلس الحالية .

(٣) راجع . على فهمي خشيم : نصوص ليبية ، مكتبة الفكر طرابلس . الطبعة الاولى ١٩٦٧ ، ص ١٨٣/١٨٢ .

(٤) الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي : تاريخ ليبيا الاسلامي من الفتح العربي حتى بداية العصر العثماني ، دار صادر بيروت ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) ، ص ٢١٠ .

(٥) الدكتور سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ . ص ٣٩٧ . والنفوسيون نسبة الى جبل نفوسة الذي يقع في الركن الشمالي الغربي من ليبيا.

(٦) محمد سليمان أيوب : المصدر السابق ، ص ٩١/٨٩ .
والي الشرق من زويلة اليوم . وعلى بعد حوالى كيلومتر ونصف منها تقوم مدافن أسرة بني الخطاب ، وتتكون من سبع مبان مربعة كبيرة تعلوها سبع قباب .

(٧) على يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية ، مكتبة وهبه القاهرة ، ١٣٨٤هـ-١٩٤٦م . ص ٥١ .

(٨) تقع تراغن الى الشرق من مرزق ، ولم تزل آثار قصر الحاكم ومساكن الجند قائمة غرب المدينة . وكان ملك سلاطين كانم حول بحيرة تشاد ، ولم تزل القلاع التي اقامها هؤلاء السلاطين ، وكانت تعرف بالقصور ، قائمة في نواح كثيرة من فزان على طول طرق القوافل باقية حتى اليوم .
وعن « امبراطورية كانم » راجع : الدكتور عبد الرحمن زكي : تاريخ الدولة الاسلامية بأفريقيا الغربية ، الألف كتاب رقم ٣٨٤ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٨١/١٧٥ .

(٩) راجع ، مختصر تاريخ فزان ، ص ٩٧/٩٦ .

(١٠) راجع : الدكتور محمد سليمان أيوب : جرمة : من تاريخ الحضارة الليبية ، الطبعة الاولى طرابلس ١٩٦٩ . ص ٢٤٧/٢٤٥ .

(١١) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان ، ص ١٠٥/١٠٤ .
وانظر أيضا : الدكتور عبد اللطيف محمد البرغوثي : المصدر السابق ص ٤٤٨ .

(١٢) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان ص ١٠٦ .

(١٣) ابن غلبون (ابن عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي) : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، عني بتصحيحه والتعليق عليه ، الطاهر أحمد الزاوى ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ ، الناشر مكتبة النور طرابلس ليبيا . ص ١٤٣ .

(١٤) ابن غلبون : نفس المصدر ، ص ١٤٤ .

(١٥) اولاد علوان من أهالي (النواحي الاربع) جنوبي مدينة طرابلس بالقرب منها .

(١٦) ابن غلبون : ص ١٤٧ .

(١٧) حميرة بلد بين زويلة وتراغن .

(١٨) ابن غلبون : ص ١٥٩ .

(١٩) كانت الاتاوة عبارة عن اربعة آلاف مثقال ذهبا : الفان منها تبرا ، والفان تعطى قيمتها عبيدا واماء • واتفق على أن يكون ثمن العبد الذكر خمسة وعشرين مثقالا ، وثمن الأمة ثلاثين ، وثمن الخصي ثمانين • كما اتفق على أن يتم نقل العبيد على نفقة شيخ فزان حتى سوكنة محل التسليم ، وعلى أن تكون الخسارة في العبيد في الطريق اليها على شيخ فزان • اما نقل العبيد بين سوكنه وطرابلس فيتم على نفقة حكومة طرابلس • كما كان من شروط الاتفاق أن يرسل شيخ فزان الهدايا سنويا الى سلطات الحكم المختلفة في طرابلس ـ وقد ذكر منها (البك) • وكاهية السقيفة (مستشار الباشا) وكاهية الحرب (النائب العسكرى للبك) ، واغا الاتراك (قائد الانكشارية) واغا العرب ، وامين السر والشاوش :

راجع : ابن غلبون ص ١٥٦/١٦٠ •

ايتورى روسى : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسى • دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) ، ص ٢٣٠/ ٢٣١ •

(٢٠) ابن غلبون : ص ١٦١/١٦٣ •

(٢١) دليم قرية صغيرة ، بينها وبين مرزق خمس ساعات أو ست •

(٢٢) ابن غلبون : ص ١٨٤ •

(٢٣) ابن غلبون : ص ١٩٣/١٩٦ •

(٢٤) ابن غلبون : ص ٢٥٧ •

والمقصود بـ (قلة الأدب) هنا هو التوقف عن سداد الخراج •

(٢٥) شارل فيرود : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية محمد عبد الكريم وافي ، الناشر دار الفرجاني بطرابلس ١٩٧٣ ، الكتاب الثاني ص ٤٣٠ •

رودلفو ميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ترجمة طه فوزي ومراجعة حسن محمود وكمال الدين عبد العزيز الخربوطي ، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية ، سبتمبر ١٩٦١ ، القاهرة ، ص ٦٥/٦٦ •

كونستانزو برنيا : طرابلس من ١٥١٠ الى ١٨٥٠ ، ترجمة خليفة محمد التليسى ، ص ٢٦٣ •

ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ •

هذا وقد أعيد بناء أسوار مرزق سنة ١٧٤٦ في عهد محمد باشا القرمانلي •

(٢٦) ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ •

(٢٧) احمد بك النائب الأنصارى الطرابلسى : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، الجزء الاول تقريظ الاستاذ سيدي الشيخ فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري المهنوى ، الطبعة الثانية ـ بيروت، منشورات مكتبة الفرجاني بطرابلس •ص٣٣٥ •

(٢٨) احمد النائب الأنصارى الطرابلسى : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٣٦ •

ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ •

(٢٩) ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ •

(٣٠) رودلفو ميكاكي : المصدر السابق، ص ٢٢٨ •

ويرجع أولاد سليمان في نسبهم الى بني سليم •

(٣١) شارل فيرود : المصدر السابق ، الكتاب الثاني ص ٦١٤/٦١٥ ·

(٣٢) راجع رودلفو ميكاكي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ·

(٣٣) رودلفو ميكاكي : المصدر السابق ، ص ٢٣١/٢٣٣ ·

وانظر ايضا ص ٦٨ من الملاحق (خطاب من يوسف باشا القرمانلي الى محمد شلبي بيت المال ، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٤٧هـ) ·

(٣٤) شارل فيرود : المصدر السابق ، الكتاب الثاني ، ص ٦٢٢ ·

ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ـ٣٤٥ ·

رودلفو ميكاكي : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ·

(٣٥) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا (ليبيا وتونس) ، ترجمه عن التركية عبد السلام ادهم ، الطبعة الأولى ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ، ص ٢١٠ ·

(٣٦) راجع ، الدكتور أحمد صدقي الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى ، أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (١٨٨٢ ـ ١٩١١) الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٠١ ·

(٣٧) الدكتور أحمد صدقي الدجاني : المصدر السابق ص ٢٠١ ·

(٣٨) راجع ، ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٤٠١ ، ص ٤٠٥/٤٠٦ ·

(٣٩) تنقسم بلاد التبو الى التبو رشاده ومقرها بلدة برداى او تبستى ، التبوكوار ومقرها غارو او بيلما :

راجع : محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ترجمه عن التركية عبد السلام ادهم ومحمد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، بيروت ١٩٧٠ ص ١٩٨/٢٠٣ ·

وتقع برداى الان داخلحدود جمهورية تشاد، وفي الحدود الادارية لمديرية « تبستى » في شمال غرب الجمهورية بالقرب من حدود ليبيا الجنوبية ·

اما بيلما فتوجد الان في وسط الجزء الشرقي من جمهورية النيجر المتاخم لحدود تشاد الغربيـة ·

(٤٠) راجع : ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧/٣٧٣ ، ص ٤٠٣ ·

وقد قام نختجال برحلة الى السودان عبر فزان بين سنتي ١٨٦٩ ، ١٨٧٤ :

راجع : اتيليو مورى : الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا ، منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال الايطالي (لمحة تاريخية وعرض للمراجع) ، تعريف خليفة محمد التليسي، الناشر الفرجاني بطرابلس ، ط١ ١٩٧١ ، ص ٨٠/٨١ ·

(٤١) ايتورى روسى : المصدر السابق ص ٤٠٣ ·

ولكن عزيز سامح يرجع تاريـخ تـاسيس القضاء الى أول مـارس ١٨٨١ ، ويقول ان قضاء تبورشاده يضم قطعتي تبستى وبورقو : المصدر السابق ص ٢١١ ·

(٤٢) محفوظات طرابلس عن : ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٤٠٥ ·

(٤٣) محفوظات طرابلس عن : ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٤٠٨ ·

(٤٤) راجع : ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٤١٠/٤١١ ·

(٤٥) ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٤١١ ·
وتقع زوار جنوب غرب برداى مباشرة · كما تقع عين كلاك أو قلاكه مركز بورقو في جنوب شرقي زوار · وتوجد برداى وعين كلارك وزوار كلها في الركن الشمالى الغربي من جمهورية تشاد اليوم ·

(٤٦) عزيز سامح : المصدر السابق ، ص ٢١١ ·
وقد وصف احد علماء غدامس الطوارق عموما بهذه الصورة الموجزة : « رحمة للابل . فحول للنساء ، حطب جهنم » : راجع ، محمود ناجي : المصدر السابق ، ص ١٩٧ ·

(٤٧) الميجور انتوني جوزيف كاكيا : ليبيا في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ـ١٩١١) ، تعريب يوسف حسن المسلي ، طرابلس ١٩٤٦ ، ص ٥٣/٥٦ ·

(٤٨) محمد عثمان الحشائشي : جلاء الكرب عن طرابلس الغرب · تقديم وتحقيق مصطفى المصراتي، الطبعة الاولى ، دار لبنان ١٩٦٥ ، ص ١١٠/١١١ ·
والمقصود بالاركاب القوافل ·

(٤٩) الدكتور احمد صدقي الدجاني : المصدر السابق ص ١٢٨ ، ص ٣٧٩/٣٩٨ ·

(٥٠) الدكتور احمد صدقي الدجاني : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ ·

(٥١) عزيز سامح : المصدر السابق ، ص ٢١٢ ·

(٥٢) ايتورى روسى : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ ، هامش ص ٤١٠ ·

(٥٣) دار المحفوظات ، مجموعة ادهم عن : الدكتور احمد صدقي الدجاني : المصدر السابق ، ص ٢١٦ ·

(٥٤) الميجور انتوني جوزيف كاكيا : المصدر السابق ، ص ٨٨ ·

(٥٥) اتيليو مورى : المصدر السابق ، ص ٨١ ·

(٥٦) الحشائشى : المصدر السابق ، ص ١٢١ ·

(٥٧) الدكتور احمد صدقي الدجاني : المصدر السابق ، ص ٢٣٠/٢٣١ ·

(٥٨) مابل لومس تود : أسرار طرابلس ، ترجمة مكتبة الفرجاني (لم يذكر اسم المترجم) ، طرابلس ١٩٦٨ ، ص ٦٤ ·

(٥٩) حسن علي خشيم : صفحات من جهادنا الوطني ، مكتبة دار الفكر ط٢ ، طرابلس ١٩٧٤ ص ١٥٨ ·

(٦٠) جندوبة بالقرب من غريان ·

(٦١) الطاهر أحمد الزاوى : جهاد الابطال في طرابلس الغرب ، ط٣ ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ، ص ١٨٣ ·

(٦٢) الشب ، أشكده مكانان قرب براك ·

(٦٣) المحروقة بلدة بوادى الشاطيء ·

(٦٤) رودلفو جراتزياني : نحو فزان ، ترجمة طه فوزي ، الناشر مكتبة الفرجاني ط١ ، طرابلس ١٩٧١ ، ص ١٦ ·

(٦٥) الطاهر أحمد الزاوى : المصدر السابق ص ١٩٧/١٩٨ ·

(٦٦) كانت سبهه تتكون من ثلاث قرى احداها القاهرة ، وهي ربوة عالية في رأسها قصر قديم فيه بئر وكان الايطاليون قد اتخذوا منها حصنا منيعا للدفاع عن سبهه : الطاهر احمد الزاوي ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ ٠

(٦٧) رودلفو جراتزياني : المصدر السابق ص ١٧ ٠

(٦٨) الطاهر احمد الزاوى : المصدر السابق ص ٢٠٣/٢٠٤ ٠

(٦٩) بوهادى اطلال لقصر قديم يسمى بهذا الاسم ، ويقع في الجنوب الغربي من قصر سرت : الطاهر احمد الزاوى : المصدر السابق هامش ص ٢٠٧ ٠

(٧٠) الطاهر احمد الزاوى : المصدر السابق ص ٢٠٩/٢١٢ ٠
وراجع ، حسن علي خشيم : المصدر السابق ص ٢٢/٢٣ ٠
والقرضابيّة مكان يجاور سرت ٠

(٧١) رودلفو جراتزياني : المصدر السابق ص ٢٥ ٠

(٧٢) رودلفو جراتزياني : ص ٢١ ٠

(٧٣) الطاهر احمد الزاوى : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ٠

(٧٤) الطاهر احمد الزاوى : راجع صفحات ٤٣٤/٥٠٥ ٠

(٧٥) القول اوغلية هم نسل الأتراك بعد ان اختلطوا مع اهالى البلاد ، وكان منهم اعداد كبيرة في بعض الجهات ، منها مدينة الزاوية التي تقع غرب طرابلس بخمسة واربعين كيلومترا ٠ ولمزيد من المعرفة عن خليفة الزاوى راجع : رودلفو جراتزياني : المصدر السابق ص ٢٩١/ ٢٩٢ ٠
وجراتزياني هنا يثني على ولائه للايطاليين ٠

(٧٦) راجع ، رودلفو جراتزياني : المصدر السابق ص ٣٢٠ وما بعدها ٠
وايضا لنفس المؤلف : برقة الهادئة ، ترجمة ابراهيم سالم بن عامر ، مكتبة الاندلس ط١ ، بنغازي ١٩٧٤ ، ص ٣٩ وما بعدها ، ص ٨٢ ٠

(٧٧) راجع ، الطاهر أحمد الزاوى ، المصدر السابق ص ٥١٩/٥٢١ ٠

FAZZAN IN MODERN HISTORY

Dr. Ahmad Ahmad Sayyid Ahmad,
Associate Professor of Modern History and
Deputy Chairman of The History Dept. in the College of Education

This study concerns the Libyan region of Fazzan in modern history, from 1550 to 1951. In the opening years of this period, Muhammad al-Fasi, of Moroccan origin, declared himself sultan in Fazzan, while in the second year mentioned, Libyan independence was announced. Between those two years, events of great importance occurred.

1. Fazzan was under the control of the Ottoman administration since the middle of the sixteenth century. The pasha of Tripoli appointed its rulers from the family of Muhammad al-Fasi until 1813. From that year, and until May 1835, Fazzan was controlled by the Awlad Sulayman tribes led by Abd al-Jalil Sayf al-Nasr. The rule of the Qaramanlis in Tripoli, which had commenced in July 1711, also ended in May 1835.

2. After the collapse of Qaramanli rule, direct control over Fazzan passed to the Ottoman Sultan. The region was administered by the Pasha of Tripoli who appointed the local officials. This situation continued until the Italian invasion of Libya in 1912.

3. Since 1913, the Italians attempted to extend their influence from the coast to Fazzan in the interior. Fazzan thus became the scene of military activities between the Italian invaders and the local population. Some prominent Libyan personalities are referred to, in addition to Italians who played a role in the events of these years. Important battles are also mentioned. Italian rule over Libya and Fazzan continued until Libyan independence was declared in 1951.

Original sources were relied upon for the research contained in this paper. Some of these are indigenous Libyan materials, while others were compiled by Italians who were, for the most part, contemporaries of the Italian occupation of Libya. In addition, the author had recourse to documents preserved in the Archives in Tripoli.